

تفسير ابن كثير

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ^ط فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ^ط وَإِنِ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ
عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ^ج ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ

قال مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما : (على حرف) : على شك . وقال غيرهم : على طرف .

ومنه حرف الجبل ، أي : طرفه ، أي : دخل في الدين على طرف ، فإن وجد ما يحبه

استقر ، وإلا انشمر . وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن الحارث ، حدثنا يحيى بن أبي بكير

، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ومن الناس من

يعبد الله على حرف) قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاما ، ونتجت

خيله ، قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ، ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء . وقال

ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن

أبيه ، عن أشعث بن إسحاق القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن

ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون ، فإذا

رجعوا إلى بلادهم ، فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن ، قالوا : " إن

ديننا هذا لصالح ، فتمسكوا به " . وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط ،
قالوا : " ما في ديننا هذا خير " . فأنزل الله على نبيه : (ومن الناس من يعبد الله على حرف
فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) . وقال العوفي ، عن ابن
عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة ، وهي أرض وبيئة ، فإن صح بها جسمه ، ونتجت
فرسه مهرا حسنا ، وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه ، وقال : " ما أصبت منذ
كنت على ديني هذا إلا خيرا " . وإن أصابته فتنة - والفتنة : البلاء - أي : وإن أصابه وجع
المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما
أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا . وذلك الفتنة . وهكذا ذكر قتادة ، والضحاك ،
وابن جريج ، وغير واحد من السلف ، في تفسير هذه الآية . وقال عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم : هو المنافق ، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت
، انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه ، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو
ضيق ، ترك دينه ورجع إلى الكفر . وقال مجاهد في قوله : (انقلب على وجهه) أي :
ارتد كافرا . وقوله : (خسر الدنيا والآخرة) أي : فلا هو حصل من الدنيا على شيء ، وأما

الآخرة فقد كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة; ولهذا قال : (ذلك هو

الخسران المبين) أي : هذه هي الخسارة العظيمة ، والصفقة الخاسرة .